هوية و اندماج الجالية الجزائرية في فرنسا: دراسة في العوامل.

Identity and integration of the Algerian community in France: a study of the factors.

ط.د/ رضوان بن تومي [1*]

[1] جامعة وهران 2، (الجزائر).

radhwanebentoumi@gmail.com

أ.د/ نصر الدين بن سادات [2]

[2] جامعة وهران 2، (الجزائر).

besadat@yahoo.fr

تاريخ الارسال: 2024/04/29   تاريخ القبول: 2024/05/29   تاريخ النشر:2024/06/15

ملخص: *يعالج موضوع إشكالية الاندماج والتكامل في الهوية متعدّدة الثقافات وبالتحديد طبيعة العلاقة بين الأنساق القيمية المتنوعة ضمن الثقافات المتباينة داخل المجتمعات المعاصرة، من حيث إبراز الدور الذي يؤديه الاندماج والتكامل في تحقيق الأمن الثقافي وتقوية البعد التاريخي وتعزيز التعايش والتماسك ومعوقات اندماج الجزائرية بفرنسا .*

الكلمات المفتاحية: *الهوية، الثقافة، الاندماج،التكامل، الجالية بالخارج.*

تصنيف جال: *م14، ف02.*

Abstract*:It addresses the issue of the problem of integration and integration in multiculturalidentity, specifically the nature of the relationshipbetween diverse value systemswithin disparate cultures withincontemporarysocieties, in terms of highlighting the rolethatintegration and integrationplay in achieving cultural security, strengthening the historical dimension, promoting coexistence and cohesion, and the obstacles to the integration of Algerian womeninto France.*

key words:*identity, culture, integration, integration, community abroad.*

JEL classification: *M14; F02.*

---

* المؤلف المرسل.

-مقدّمة:

إن متغيري الهوية والاندماج يحتلان مركزا بارزا في دراسة الجالية الجزائرية في فرنسا ولاسيما إذا تعلق الأمر بأهم المحددات والعوامل المتحكمة في هذا الأخير، ولا شك أن مفهوم الهوية والاندماج طرأت عليها عدة تغيرات مرحلية أدت إلى زعزعة الكيان الهوياتي، وخلق مشاكل ومعوقات نحو الموضوع وإشكالية اندماج الجالية الجزائرية في فرنسا.

فالتغيرات التي حدثت على مستوى مفهوم الهوية من المفهوم التقليدي الى المفهوم الحديث الحضاري، والذي يقوم على الجمع بين الموروث الثقافي للجالية الجزائرية ومسارها التاريخي المليء بالأحداث والوقائع التاريخية، ومع موقع ومكانة الجالية الجزائرية في فرنسا، كل هذا جعل تأثير الهوية الجزائرية على مشاكل الاندماج بالنسبة للجالية الجزائرية ليكون محط اهتمام الأكاديميين وخبراء التاريخ والباحثين.

فالهوية الوطنية والمجتمعية وقيمها الحضارية نتاج لضمير اجتماعي مشترك بالترسبات والتراكمات التاريخية، الذي يحتوي في الداخل كل ما هو ثقافي ونفسي وقيمي وديني، وبالتالي يعكس مساحات جغرافية تتحدد بمدى اندماج هذا الأخير كما يمكن نتاج لتصور نمطي بالنسبة للعالم ككل من خلال معيار الهوية ومتغير الاندماج، وبالتالي هذه الرؤى مجتمعة هي التي تشكل المحدد الأساس في التأثير على هوية وقيم الجالية الجزائرية في فرنسا. من ذلك، يمكن طرح الإشكالية التالية:

فيما تتمثل العوامل المتحكمة في هوية واندماج الجالية الجزائرية في فرنسا؟

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة، سيتم التفصيل في العناصر التالية:

1. الموروث التاريخي:

ما يميز المجتمع الجزائري أنه من بين المجتمعات التي كانت مركزا لحضارة عملت على بناء نظام سياسي واجتماعي، تتمثل في الدولة العثمانية، والتي عمرت لفترة من الزمن ما يزيد عن الستمائة عام (620 عاما)، وذلك في العديد من المناطق التي كانت تحت الجباية والوصاية العثمانية، ومن خلال التعرض لمخبر التاريخ، والذي يعتبر الوعاء لكل الحقائق التاريخية فانه لا يمكننا أن نوصف هويتنا وصفا واحدا طيلة عمر الدولة، فمثلا، أن نقول: "هويتنا تصنف على أنها عصبية ومتسلطنة (بتعبير ابن خلدون والماوردي) من منظور الغلبة والعصبة والاستقواء بالدعوة الدينية"، هذا في مرحلة ما يمكن أن نسميه مرحلة هوية "العثمنة أو السلطنة"، فمن هذا المختبر التاريخي نستشف الارث الهوياتي للمجتمع الجزائري الذي لا زال يتشبع بقيم حضارية وثقافة موروثة من عصبة العثمانيين فكثيرا ما تتشارك عادتنا وتقاليدنا بالمجتمع التركي ونمط عيشه وقيمه الاجتماعية(محجوبيان، 2010، صفحة 352).

وبهذا فإن الدولة العثمانية تمكنت من إفراغ العديد من المقومات والخصائص الحضارية، ورثها المجتمع الجزائري، وأصبحت جزءا من هوية العامة المتشبعة بالثقافة والدين الإسلامي.

فمع خروج الدولة العثمانية من الجزائر وبمجيء الاستعمار الفرنسي إلى الأراضي الجزائرية، ظلت مشكلة الهوية تتعمق طيلة الحكم التركي ولم تكن العناصر السياسية والعرقية لما يحدث ثقافيا واجتماعيا، وذلك بسبب تركيزها على الأحداث العسكرية والمواجهات الحربية والجهاد الذي عزز صفوف "العرب" و "البربر" و "الأتراك" لكبح الزحف الأوروبي الفرنسي.

ولكن في الحقيقة كل الأطراف كانت تساهم في هذا التعميق الذي أكسب صورة الهوية الثابتة، ويتجه بها نحو الهوية الضائعة، وزادت الفترة الاستعمارية الفرنسية تعقيدا وخلطاوهدما، حيث جل الدراسات التاريخية ركزت على التفريق العرقي، التي صورت المجتمع الجزائري وكأنه اجتماعي يتحول ويتفكك آليا من منظور الانثروبولوجيا(زكي، 1972، صفحة 240).

2. العامل الجيو-إستراتيجي:

منالعوامل المشكلة والمساعدة على تشكيل الهوية وثباتها سياسيا وثقافيا هو العامل الجيواستراتيجي أو الجغرافي، وبما أن الهوية وأي رقعة جغرافية تمثل عنصر ربط بين المعطيات الثابتة التي تتدخل في معادلة القوة وهي الجغرافيا، التاريخ، السكان، والثقافة والمعطيات المتغيرة وهي النظام السياسي، الاقتصاد، والربط بين هذين المتغيرات يؤدي إلى انسجام واندماج داخلي يعكس أثره خارجيا والعكس الصحيح وإنما سوف يتفاقم إلى ظهور أزمة الهوية ومشاكل الاندماج والتكامل الاجتماعي على المستوى الوطني والدولي(ثلجي، 2009، صفحة 88).

في نفس السياق، تساهم الجغرافيا والخصائص الجيوثقافية المكتسبة من خلال تموقعها في هذا المحور الفاصل بين مستويات العوالم والمناطق الجغرافية في زيادة فعالية الهوية وتكوين التفاعلات السياسية والثقافية وإعطائها فرصة في تجسيد الأدوار داخل حيز جغرافي خارجي يجعلها إما متأرجحة بين هوية وطنية قومية متأصلة أو أخرى تبني هوية جديدة تكون بديلا للهوية الأم، وهذا ما يمكن إسقاطه على الجالية الجزائرية المقيمة في فرنسا من هذا يتضح لنا دور الجغرافيا في ممارسة قيم الهوية والثقافات وتجسيد العادات والتقاليد ما يرجحنا بالقول أن الجغرافيا هي الأرض التي تبنى عليها القيم والهوية وتمارس فيها العديد من النشاطات الاجتماعي(الكيالي، 1999، صفحة 27).

وبناء على ما سبق، يعد العامل الجغرافي من أبرز العوامل التقليدية المؤثرة على الهوية، فحجم الإقليم أو الرقعة له أثر على قوة الدولة والمجتمع في استيعاب العديد من الهويات والقيم الاجتماعية المختلفة وتعدد الثقافات والديانات، فكلما اتسعت الرقعة الجغرافية كلما كانت العملية الاندماجية سهلة، وقبول الأنا والآخر لا يشكل أي مشكلة بالنسبة للدولة.

3. العامل الحضاري والديني:

يلعب العامل الحضاري والديني دورا بارزا في تأثيره على الهوية وتحديدا مسارها وثباتها من تآكلها، فالجانب الحضاري القيمي يعزز في الحفاظ أصالة الهوية والقيم والانتماء الحضاري في الهوية الحضارية، هي ما يجب التنقيب عنه لأنها أعلى تجمع ثقافي للبشر وأوسع مستوى وهي التي تميز الجالية الجزائرية عن

باقي المجتمعات حيث وبحكم الحضارة المتوارية على تاريخ الجزائر أكسبتها تراكما حضاريا لا يذوب إلا بذواب القيم الثابتة .

لقد أصبح العالم حاليا دون حدود فاصلة، والتي كانت تدعم التجانس داخل إطار الجماعة الواحدة، وما يعرفه من تداخل اجتماعي واسع، ومن جاليات مهاجرة متعددة تجعل الشعوب والأديان واللغات تتداخل وتمتزج اجتماعيا وهذا ما يمكننا تحليله من المنظور الاجتماعي، فالجالية الجزائرية في فرنسا يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام(حميدة، 1980، صفحة 24):

- "جالية مأسسة البنى الحضارية"؛ وهم الأجداد الأوائل المهاجرين الجزائريين الذين جاؤوا إلى فرنسا وهم يحملون موروثا حضاريا متأصلا وهذا النوع من الجالية قل مع نسبة الوفايات والتقدم في العمر.

- جالية "الاستيعاب الحضاري"؛ وهم الآباء من الجالية الجزائرية في فرنسا والذين درسوا في فرنسا، وهم يحملون الموروث الحضاري والديني محاولين ثورات الهوية الوطنية والحضارية ونقلها الى أبنائهم.

- جالية "الأبناء"؛ والذين أثرت عليهم متغيرات حضارية واجتماعية متأصلة في المجتمع الفرنسي مما جعلت الهوية الوطنية تتلاشى شيئا فشيئا.

- ومن هذا السياق نستشف أن الهوية الحضارية منبع قوة الهوية الوطنية التي تصنعها شخصية المجتمع ومقومات الوطن الحضارية مثل: الهوية الفردية التي يصنعها الجسد بمقوماته الفردية، وأبرز مثال علمي على ذلك: البصمات والحبال الصوتية والقرحة العينبة والحمض النووي...الخ، وهنا يمكننا إسقاطه على الهوية وكيف يتحكم فيها العامل الحضاري فالهوية الوطنية والقومية يمكن أن تختلف في النوع وليس في الدرجة فالشخصية الفردية ذات ميزات جسدية، أما الهوية الوطنية ذات سمات حضارية وثقافية .

- فالحضارة هي البصمة الخاصة التي تجعل أفراد الجالية وكل فرد من الأمة يتميزون بهويتهم الجماعية عن غيرهم من الشعوب والأمم، وهذا ما يسمح لنا به القول بأنه قد يوجد في أنحاء العالم مجتمعات بدون أرض وأعلام وعملات كما توجد أراضٍ بدون شعوب ذات هوية محددة ومعروفة حضارية من هنا تكمن أهمية الجانب الحضاري في تأثيره على ثبات الهوية وسط جملة من التغيرات الحضارية والقيمية من منظور "فرانسيس فوكوياما."

- فالحالة الأولى تنطبق على المجتمع الجزائري قبل استقلاله سنة 1962 وما زال يمثلها العديد من الشعوب في العالم مثل: فلسطين، والشيشان، وكشمير.

❖ والحالة الثانية تسقط على الشعوب التي تحصلت على الاستقلال عن طريق المراسلة، تسمى بـ "استقلال الجنسية الورقية" دون استغلال الشخصية أو الهوية الوطنية السيادية.

فالعامل الحضاري يعتبر مرجع للهوية ومقوماتها الثقافية والاجتماعية والدينية، وهذا ما نراه في جاليتنا الجزائرية في فرنسا في سلوكياتها وقيمها الاجتماعية والدينية التي يحكمها الخط الحضاري القيمي، فإذا كان المجتمع محتفظا بشخصيته الثقافية والحضارية المتفردة، فإنه حتى ولو ضاعت أو تم تضييع جنسيته الورقية فيسترجعها متى أراد إن ظل متمسكا بمقومات الهوية الحضارية(الفهمي، د.س.ن، صفحة 100).

فالجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي يمكننا أن نقول أنها ضيعت جنسيتها الورقية لتصبح "فرنسية مسلمة"، ولكنها لم تضيع شخصيتها وهويتها ونتاجها الحضاري والثقافي وعاداتها الأصيلة المتأصلة، بل وظلت متمسكة بحجة المطالبة بالاستقلال السياسي، وعليه، نفترض أن فرنسا قضت على كل ما هو متأصل في المجتمع الجزائري، بما في ذلك الإسلام واللغة العربية والامازيغية، وأقرت المساواة بين الشعب الجزائري والفرنسي في الثقافة على العموم (الدين واللغة على وجه الخصوص) لما كان يحق لأحد أو حتى التفكير في المطالبة بالاستقلال عن فرنسا .

فمثلا هل يمكننا أن نتصور اليوم أن سكان مرسيليا أو تولوز يطالبون بالاستقلال في باريس؟ و"سكان غرناطة عن سكان مدريد" وقس على ذلك، فالإجابة ستكون بالنفي القطعي حتما، وهنا تكمن الأهمية الحضارية والقيمية للهوية في الأمة وعلاقة الكل باللغة والدين على وجه الخصوص بالنسبة للجالية الجزائرية في فرنسا.

وبالنسبة للدين يعد عامل جوهري ومفصلي في تكوين وبناء الهوية والشخصية الوطنية للأمم والمجتمعات، وهو الذي يساهم في تحقيق الوحدة الوطنية وتمثيل الهوية وتهذيبها، والمهم من هذا التحليل وهو شيء يلاحظ في العديد من المجتمعات والأمم وليس على الجزائر والجالية الجزائرية في فرنسا، بل ينطبق على جميع المجتمعات والأجناس والهويات وفي هذا السياق، أي إن الإسلام الحنيف هو روح الثقافة ولب وعصب الهوية الإسلامية، ومفهوم حضاري وذلك بكل المقاييس الموضوعية والعلمية والعملية فقد ساهم الدين الإسلامي في انتشار الهوية الإسلامية والثقافة الإسلامية التي ينمى عليها المجتمع الجزائري وتوارثها الأجيال وهو الذي يصنع الأمة ويرسم معالمها الحضارية والهوياتية.

وفي حديثنا عن العلاقة بين العامل الديني واللغة بالهوية والفكر والثقافة وعلاقة اللغة واللسان بالإسلام على وجه العموم واللغة العربية والإسلام على وجه الخصوص فإننا نجزم بالقول أن الدين الإسلامي هو من أوجد المسلمين ووحد قلوبهم وأرواحهم ولغة الإسلام وحدث لقرون عدة، أفكارهم وتفسيراتهم وأهم أنماط وخصائص ثقافتهم في عموميتها الغير المتغيرة(أحمد ، 2005، صفحة 38).

نستطيع الجزم بكل تأكيد على أنه ما كان للمجتمع الجزائري والأمة الإسلامية أن توجد هويتها من دون الإسلام، وما كان للحضارة الإسلامية المعروفة أن توجد وتسود في كل أنحاء العالم دون التفريق بين

الألوان واللغة والجنس بل عن طريق التكامل العضوي، فالوعي الحضاري والفكري هو الذي مكن الإسلام أن يخرج اللغة العربية "العدنانية" من جزيرتها ، وجعل الشعوب ومجتمعات العالم ينتجون الآثار الفكرية والعلمية التي ما تزال تتحكم وتؤثر في هويتها الإسلامية، والتي لا زالت أمتنا والشعوب الإسلامية تعيش على مائدتها الحضارية إلى يومنا الحاضر، وما جاء به "الرازي" من كتابات و"ابن سينا" و"الغزالي" و"سيبويه" و"مسلم" و"البخاري"، وصولا إلى "الأفغاني" و"محمد عبده"، هي أمثلة حية وملموسة على صحة هذا القول ، فالهوية بأنواعها وأصنافها وأقسامها وإن تعددت البدائل والمجتمعات والرقع الجغرافية لا تتحقق إلا بالدين الإسلامي والنبرة العدنانية مصداقا لقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (سورة الشعراء، الآية: 195) وفي آية أخرى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ...﴾(سورة إبراهيم، الآية: 04).

من هنا يظهر جليا الدور الذي يلعبه الدين الإسلامي في بناء وحماية الهوية من الهدم والذوبان والانصهار داخل هويات وحضارات غربية وهذا ما سوف يأتي في التحليل بخصوص جاليتنا الجزائرية في فرنسا(Boutefnouchet, 1982, p. 38).

فالدين يعتبر الضامن والحاجز الأمني الذي يقف ويتصدى لشتى التصدعات الاجتماعات التي تؤدي تآكل الهوية وطمس معالم مقوماتها وهنا نستعين بمثال حي عن دور الجانب الديني في حماية الهوية وترصينها.

ففي عام 1930م احتفلت فرنسا بمرور قرن على احتلالها واستعمارها للجزائر وألغت اللغة العربية، والتي هي رمز من رموز ومعلم تاريخي وحضاري وديني لهوية المجتمع الجزائري، فيحنها رفع العلامة الشيخ "ابن باديس" شعار: "الجزائر وطني، الإسلام ديني، العربية لغتي وتضافرت مجهودات المصلحين ورواد النهضة، حيث أقيم المؤتمر التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 05 ماي 1931 ، وقد كان ميلاد هذه الجمعية حدثا عظيما ودعامة لهوية المجتمع الجزائري والأمة الإسلامية، حيث أنعش الحياة الفكرية والثقافية والدينية، هنا تكمن أهمية العامل الديني في نشر الوعي الاجتماعي من أجل الحفاظ على هوية الأمة الإسلامية والمجتمع الجزائري.

هذا ويجسد كل من العامل الحضاري والديني، القطيعة بين هوية الأمم والمجتمعات فلا يمكن فصل الحضارة عن الدين، لأن هذا الأخير هو جزء لا يتجزأ من الحضارة التي لا تزدهر إلا بمقومات وخصائص دينية، تؤثر في المجتمع وتهذب سلوكه وتضبط أخلاقه وترسم منهاجه وتحدد هويته وشخصيته الاجتماعية، ومكانته بين الأمم والمجتمعات وتضمن بقاءه حي في مواطن مختلفة لان الحضارة والدين تجريان في أعراق الأمم والمجتمعات كما يجري الدم في الجسد.

4. العامل السوسيو-ثقافي:

يعد كل من العامل الاجتماعي والثقافي متغيرين يتحكمان في مصير الهوية وبنائها، فلا يمكن الفصل بين ما هو اجتماعي وثقافي، بحيث لا تقاس الثروة بما يملكه من أشياء بل بمقدار ما فيه من أفكار وإشباع الثقافة، والتي تخضع بدورها لشبكة من العلاقات، أي لا نتصور عملا فيه من التجانس والتكامل والاندماج دون هذه العلاقة الشرطية، فكلما كانت شبكة العلاقة أوسع، كلما كان النتاج الثقافي والفكري

أعلى درجة، وبالتالي يمكن لأي مجتمع من خلالها تحصيل الهوية وشخصيته الخاصة، والحد المثالي للتطور الاجتماعي الذي يمكن أن يبلغه مجتمع ما يتوقف على مدى فعالية ونشاط هذا المجتمع في تحقيق الظروف النفسية والزمنية، وهذا يحدث عموما في مرحلة نشوء وبناء المجتمع، مثل المجتمع الإسلامي في العهد المدني، والمجتمع المسيحي أيام "روما ."

كما يبلغ المجتمع الحد النهائي عندما يفقد بالتدريج خاصية الاندماج والانسجام والشعور بالانتماء والحس الهوياتي فيحدث التباعد الاجتماعي والانحباس الثقافي والجمود الفكري والعلمي وخمول حركة المجتمع ويمكن أن نطلق عليه اسم "الشلل الاجتماعي" فيفقد البناء الوظيفي للمجتمع من هنا تكمن أهمية العامل الاجتماعي والثقافي وتأثيره في هوية المجتمع وحالات الاندماج .

وعليه فطبيعة العلاقة الاجتماعية هي التي تفرض المنطق الفكر للمجتمع وهي التي تحدد ثبات الهوية من عدمها، وهذا ما تعيشه الجالية الجزائرية في فرنسا من تخبطات في كينونة العلاقة الاجتماعية التي تفرز نمط فكري لا يتماشى وخصوصيات الهوية وقيم الأصالة، هنا تبرز أهمية العامل الاجتماعي والثقافي في المحافظة وصيانة الهوية ودفع عجلة الاندماج الايجابي الذي يضمن استمرارية الهوية وبقاء القيم.

وأصدق ما يدل على التلاؤم الاجتماعي وديناميكية المجتمع هو اجتماع المسلمين في المساجد والمصليات فهذا الاجتماع يحمل في مضامينه اكبر المعاني الاجتماعية المحددة والمميزة لهويته الإسلامية.

كما يمكن للعامل الاجتماعي أن يقف حاجزا أمام أصالة الهوية الاجتماعية والثقافية، فالتباعد الاجتماعي والنفور من الجماعة يؤدي إلى التطرف الفكري وتلاشي الثقافة الاجتماعية، المحددة لهوية المجتمع، فالهوية الثقافية هي الشعور بهوية الجماعة والانتماء إليهم، فهي ترتبط بسياسات الهوية ولكن ليس مرادف لها كما يمكن أن يؤثر العامل الثقافي على هوية الثقافة الفردية، وكما هو الحال مع الهوية الثقافية الحديثة(ميرة، 2008، الصفحات 24-25).

فالجانب الاجتماعي والثقافي يفرز لنا صنفان من الهوية في إطار الهوية الجماعية والثقافة الجماعية، وهي الهوية الجماعية الناعمة والهوية الجماعية الخشنة أو الصلبة.

فقد يحدث أن تؤسس جماعة اجتماعية على أنقاض هوية ثقافية، وهذا يعني أن أفراد هذه الجماعة يتقاسمون فيما بينهم مجموعة من العناصر الثقافية مثل اللغة، الدين، العادات والتقاليد، فهذه المقاربة بشأن ما أسسته الهوية الثقافية مبالغ فيها فالهوية لدى المجتمع قد لا تقوم انطلاقا من السمات والصفات الثقافية والفكرية المشتركة، فالمجتمع الذي يتحدث نفس اللغة ويدين نفس الديانة، لا يتقاسمون بالضرورة الجماعية، وبالتالي فالعنصر الموضوعي غير كاف فقد تبنى الجماعة والمجتمع هويته عن طريق التاريخ والحضارة أو حتى الرقعة الجغرافية الذين يشتركون فيها.

وفي الحديث عن العوامل الاجتماعية المتحكمة في هوية الجالية الجزائرية في فرنسا، يتوجب علينا الإشارة إلى ثلاث عناصر أساسية وهي: الأشياء، المجتمع، الفكر أو الثقافة، فهناك توازن قيمي ضروري بين هذه العناصر والمتغيرات الثلاث والتي تصب في لب الانجاز الحضاري، فلا يجب أن تكون هناك تجاوزات

فقيما بينها والتي تؤدي تآكل الهوية والثقافة وانصهار الأصالة مما يدفع المجتمع إلى البحث عن بديل للفكرة والهوية الجديدة .

وبالتالي ينهار "المجتمع"، والجالية الجزائرية في فرنسا تعاني من هذه التصدعات الاجتماعية والثقافية؛ ذلك راجع إلى نخبة هذه الأخيرة وعدم قدرتهم في تقديم طريقة للتحليل والنقد، والتي من شأنها المحافظة على القيم الإسلامية، فالجالية الجزائرية والتي تمثل أكثر من 8% من المجتمع الفرنسي لا يدرك حركته وأصالته ومصادره، فهو بذلك يعيش في حالة سيكولوجية تخلط بين الأصالة والمعاصرة .

وفي هذا المنوال يقول مالك بن نبي "... فالأصالة ذاتية وعينية، وهي ناتجة عن التاريخ وبالتالي فليس بالضرورة أن تدلي صحتها إلى فعالية مستمرة في مسيرة التاريخ(grinbat, 2009, p. 9)."

ومن هذا الاقتباس نفهم أن الأصالة شأنها شأن الإسلام فهي سجية تولد مع الفرد وتطور مقومات عن طريق مكتسبات حضارية واجتماعية وثقافية، عبر أزمنة من التاريخ هي لم يفرضها التاريخ ولا الجغرافية، وإنما تبلورت عن طريق سلوكيات المجتمع وحركات علاقته الاجتماعية وتصوراته الفكرية والثقافية المشكلة لهوية المجتمع والأمة(Eriksen, 1993, pp. 36-37).

ولأن النخبة في فرنسا لا تملك جهازا فعالا يميز بين فعالية الثقافة وأصالتها، سواء في الأطر العلمية أو التقنية، حيث معظم الجالية الجزائرية في فرنسا أخذت تكوينها العلمي من جامعات فرنسية، محاولة في ذلك أن تقلد تجارب الآخرين في إطار اجتماعي ثقافي تحت اسم أو مصطلح "التماثل" " assimilation" أو "الاندماج" "integration" وبالتالي ينشأ صراع اجتماعي وثقافي يؤثر على هوية الجالية الجزائرية، وعلى أصالة المجتمع والأمة، لذا فإن على الجالية الجزائرية في فرنسا والمجتمع الإسلامي أن يعطي للأصالة فكرته وفعاليته تحت استمرار وبقاء هويته المتأصلة بل وأكثر عليه أن يعيد تلك العادات والتقاليد التي ظهرت وذابت في موضة المعاصرة(عفيفي، 2007، صفحة 76).

وبدلا في انغماسه في تمجيد الحضارة والهوية والفكر والثقافة يجب عليه وعلى نخبة الدور البحث في وسائل وميكانيزمات فعاليتها في الوقت الحاضر، وذلك من أجل أن لا تذوب هوية المجتمع الجزائري المسلم في أعراق وثقافة المجتمع الفرنسي المعروف بالتنوع الثقافي والعرقي واللغوي ، وفي كوننا لا نختلف في كون اللغة عنصر من عناصر الهوية الثقافية فاللغة العربية هي من تمثل هويتنا وثقافتنا لكن ما نراه من غياب اللغة العربية بين اوساط الجالية الجزائرية في فرنسا يوحي بذوبان الثقافة وانصهارها داخل اللغة الفرنسية التي يعتبرها الكثير لغة الموضة والعصر ودلالة على التقدم والتحضر بالإضافة اللهجات المستخدمة في العديد من الأقاليم الفرنسية مثل: اللهجة الباريسية، اللهجة المارسيلية وغيرها، ومن هنا نسترجع مقولة احد الإدماجيين إبان المرحلة الاستعمارية "هذا الشعب ليس لديه ما يخسره عندما يصبح فرنسيا" .. "بل سيحظى بكثير من الامتيازات العامل السياسي والاقتصادي:

يعتبر التداخل البيئي بين العامل السياسي والاقتصادي تداخلا مفصليا اذ يشكلان عاملان مؤثران ومتحكمان في سيرورة وكينونة الهوية و احد مقومات الاندماج الاجتماعي والسياسي والثقافي فطالما حكمت هوية المجتمع الجزائري عوامل سياسية واقتصادية وذلك طيلة 130 سنة من الاستعمار

سواء تلك السياسات التعسفية ابان الحقبة الاستعمارية على الجزائر ومما لا يخفى علينا قد لعب العامل السياسي وسياسات فرنسا وقراراتها هاجس على أمن هوية المجتمع الجزائري وذلك من خلال محاولتها طمس رموز الهوية الجزائرية ومقوماتها الاجتماعية والدينية والحضارية وكذلك من خلال فرض سياسات اقتصادية مجحفة في حق الأهالي الجزائريين والقرار الذي يعتبر بداية الطمس الهوياتي هو الذي جاء في سنة 1930 ضف إلى هذا سياسات "التجهيل" وقتل الذاكرة التاريخية والتبشير الصليبي(أحمد ، نفسية الشعب الجزائري، دراسة علمية في الانثروبولوجيا النفسية، 1997، صفحة 63).

ففي هذه الفترة كان المجتمع الجزائري يعيش في حالة من الدهشة والنوم وبعد احتلال فرنسا للعديد من المدن أقامت رأسمالية كولونيالية ذات الصفة الزراعية وأصدرت عدة قوانين وسياسات ومواثيق ذات طابع اقتصادي مثل: "قانون الأهالي " "Code de l'indigénat" و"قانون تحديد القطع الأرضية" فكل هذه التشريعات أثرت بصفة مباشرة على هوية المجتمع الجزائري ومقوماته الحضارية واثر على شبكة العلاقات الاجتماعية واكبر سياسة انتهجتها فرنسا من اجل طمس لحمة الهوية وهي سياسة "فرق تسد"(أبو القاسم، 1977، صفحة 132).

كما ظهرت تنظيمات سياسية قد تجاوزت 20 حزبا أو جمعية وهذا منذ بداية الاحتلال فمن خلال القرارات السياسية التي أقرتها فرنسا على الجزائريين جاءت هذه التنظيمات والاحزاب السياسية كدعامة لمواجهة سياسات فرنسا الاستعمارية التي أثرت على هوية المجتمع الجزائري ومن بين هذه التنظيمات: لجنة المغاربة التي تشكلت بعد اتفاق 05 جويلية 1830 الذي وقعه الداي حسين، الحزب الليبرالي 1927م، النجم الفرنسي الاسلامي 1938م، الحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر 1924م، نجم شمال افريقيا 1926م، حزب الشعب الجزائري 1937م، وجمعية علماء المسلمين الجزائريين 1931م وغيرها من اللجان والتنظيمات والأحزاب السياسية التي كان لها أثر رجعي على هوية المجتمع الجزائري(بوسكين، 2012، صفحة 186).

فهذه المخرجات السياسية قامت بنشاطات مهمة وتمثلت في تعليق لافتات باللغة العربية في أهم مدن جزائرية تندد وترفض قرار 07 مارس 1944م.

من هنا يظهر جليا أهمية العامل السياسي والاقتصادي في تحديد مسار الهوية وخصوصيات المجتمع وما انتهجته فرنسا مع المجتمع الجزائري في الفترة الاستعمارية

وهذا ما تنتهجه مع الجالية الجزائرية في فرنسا لكن بصورة غير مباشرة وذلك يمكن أن نكتشفه من خلال القرارات السياسية والاقتصادية التي تصدرها الحكومة الفرنسية في فترة من فترات الحكم والتي أثرت ولا زالت تؤثر على هوية الجالية الجزائرية وتقيد من نشاطها الاجتماعي وممارسة تقاليدها الاجتماعية وقيمها الدينية.

ومع بداية جانفي 1958م أصبحت اتفاقية "روما" حول تنقل البشر سارية المفعول ومعلوم أن هذه الفترة ميزها أيضا استقلالية دول عديدة التي كانت مستعمرة فقد عرفت الهجرة الى فرنسا تسارعا كبيرا من قبل مستعمراتها وعلى وجه الخصوص الجزائر، ومع بداية الستينات تنامت ظاهرة الهجرة الى

فرنسا وجاءت اتفاقية "ايفيان" " Les accords d'évian "بقرار سياسي يفضي إلى إنهاء الحرب واستقلال الجزائر و أن المواطنين الجزائريين المقيمين في فرنسا والعمال منهم على وجه الخصوص لهم نفس الحقوق والواجبات التي يتمتع بها الفرنسيين الأصليين باستثناء الحقوق السياسية منها وهكذا بدأت عملية تنقل الجزائريين في فرنسا وساهمت بذلك في رفع عدد المهاجرين العمال وبالتالي فهو قرار عقلاني اتخذته فرنسا حتى تجعل الجزائر تابعة لها.

وفي عام 1963م أصبح الجزائريون الذي كانوا يخضعون لقانون الحالة المدنية المحلية بموجب القوانين الجزائرية جزائريين، لكن وبعكس هذا القرار فقد نص قانون 1962م مرسوما تنفيذيا يقضي على أن الجزائريين المقيمين في فرنسا يخضعون للقانون المحلي الفرنسي للحالة المدنية، مما يخولهم طلب الجنسية الفرنسية وعلى حسب التصريحات في سنة 1967 (20 ألف مسلم ممن في الحالة المدنية يخضعون للقانون المشترك تبنوا أيضا الجنسية الفرنسية، فقد تحصل 59903جزائري حصل على الجنسية الجزائرية، وفي 1964م قيدت فرنسا دخول العمالة الجزائرية الى أراضيها وهذا ما ادى الى تحول الجالية الجزائرية في نمط عيشها الاجتماعي والاقتصادي وأثر على هويتها وشكل هذا التأثير وهذه الاحداث "أزمة الاندماج" وتولد الضغط الكبير لاسعار النفط وما سببته من أزمة اقتصادية (1973-1974) حيث عارض العمال من الجالية الجزائرية هذه السياسات بإضرابات تمثل في معظمها إضراب عن الطعام(إبوانوغان، 08 نوفمبر 2005، صفحة 13) .

بدأت سياسة الهجرة والاندماج تعرف بوادر التغيير مع بداية 1923م وذلك في تسوية وضعية الجالية الجزائرية والمهاجرين وتقديم تسهيلات قانونية ليشمل بذلك المهاجرين الغير الشرعيين وذلك بعد قرار وزير العمل "غورس "GORSE" "لكن سياسة مراقبة حركة المهاجرين الى أوطانهم وضيقت على الجالية والمهاجرين الجزائريين في عهدة الرئيس "جيسكار" خصوصا في هذه الفترة تبني فيها سياسات مجحفة ضد الجالية الجزائرية والمهاجرين والتي سهر على رعايتها "ليونيل ستوليرو *"Lionel stoliro" في مارس 1977 وذلك بتحديد معايير للهجرة، كما تبنى سياسة لعودة المهاجرين الى بلادهم الأصلية، وفي هذه الفترة تم طرد وارجاع 500 الف مهاجر جزائري في مدة لا تتجاوز خمس سنوات، ولكن بالموازاة مع سياسة الطرد هذه تم تبني مشاريع وخطط اجتماعية تفضي لدمج الجالية الجزائرية في المجتمع الفرنسي: التعليم، السكن، التكوين المهني .

كان الهدف الأسمى للجالية الجزائرية المسلمة في فرنسا عموما هو ايجاد موطئ قدم للذين ولدوا في فرنسا ونشؤوا فيها فكانت ظروفهم الاجتماعية المزرية والذي أثر على هوية الجالية الجزائرية فمعظمهم كانوا يعيشون في مجتمعات وأماكن مهجورة وكان مستقبل الأولاد غامض إما الترحيل أو الطرد، لكن هذا التهميش والقهر الاجتماعي هو الذي عزز في تنامي وتطور نشاطات سياسية تطالب بالحقوق الاجتماعية وسمية بحركة "حركة أبناء المهاجرين."

وبدأت تأثيرات العامل السياسي والاقتصادي تظهر على اصالة الهوية وتراجعها واندماج شرائح عديدة من الجالية في ثقافة وعادات المجتمع الفرنسي حيث تجلت هذه المظاهر في النقاط التالية(شازي، 12 جانفي 2006، صفحة 03):

- التمتع بالحرية التي لم يجدوها في موطنهم الاصل.
- الابتعاد عن التدين والتراجع الالتزامي وعن العادات الاسلامية.
- الانغماس في الملذات وشرب الخمور وارتياد الملاهي الليلية.
- الاشتراك في قصات وهندام الفرنسيين ولباسهم.

فقد أصبحوا مندمجين في المجتمع الفرنسي وذلك أدى إلى انصهار الثقافة العربية والإسلامية وتآكل الهوية وإيجاد هويات بديلة وتبرز دراسة سوسيولوجية انغماس المهاجرين ولا سيما العمال على الأفلام الإباحية والمحرمة أساسا في ديننا والتي تنبذها هويتنا المتأصلة والضاربة في تاريخ الحضارة الإسلامية وذلك كان نتيجة الاختلاط الاجتماعي مع الفرنسيين.(Aziz & effie, 2007, p. 60)

5.الخاتمة:

وفي الختام، نستنتج أن متغير الهوية و الاندماج لدى الجالية الجزائرية في فرنسا، تحكمت فيه جملة من العوامل أثرت بصورة أو بأخرى على مسار الهوية والاندماج بالنسبة للجالية في فرنسا، سواء كانت هذه العوامل تاريخية- إرثية تتعلق بحجم التراكمات والترسبات التاريخية، التي ورثها المجتمع الجزائري، من قيم وعادات وتقاليد، بالإضافة إلى الدّين الذي يعتبر جوهر تكوين الهوية لدى الجزائرين في الجزائر أو الجالية المقيمة في فرنسا؛ فكل هذه العوامل مجتمعة وبصورة وظيفية بنائية تجسدت القراءة التحليلية لهوية الجالية الجزائرية.

6.قائمة المراجع:

- Aziz , a., & effie, f. (2007). *islam in Europe : diversity, identivity and influence.* cambridge : university press.
- Boutefnouchet, m. (1982). *la culture en Algérie. Mith et réalité.* alger: sned.
- Eriksen, t. (1993). *ethnicity and nationalism, anthropological perpectives.* london: pluto press.
- grinbat, J. a. (2009). *l'atlas des migration.* Le monde. Hors-série.
- سعد الله أبو القاسم. (1977). *الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945*. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية.
- اتيان محجوبيان. (2010). *الحوار العربي- التركي بين الماضي والحاضر*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- ادريس بوسكين. (2012). *أوروبا والهجرة، الاسلام في اوروبا*. عمان: دار حامد للنشر والتوزيع.
- برنار شازي. (12 جانفي 2006). رئيس جمعية فرنسا الجزائر يصرح: "قانون 23 فيفري يعد تقهقرا ثقافيا ودبلوماسيا. *صحيفة الخبر الجزائرية*.

- بن نعمان أحمد . (1997). *نفسية الشعب الجزائري، دراسة علمية في الانثروبولوجيا النفسية*. الجزائر: دار الامة للطباعة والنشر.
- بن نعمان أحمد . (2005). *الردود العلمية على الأطروحات العرقية وتعدد الهوية في الجزائر*. الجزائر: دار الأمة.
- عبد الرحمان حميدة. (1980). *جغرافية الدول الكبرى*. دمشق: دار الفكر.
- عبد الوهاب الكيالي. (1999). *موسوعة السياسة* (الإصدار 4، المجلد 1). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- م. إبوانوغان. (08 نوفمبر 2005). الهجرة الى فرنسا: من الحاجة الى اليد العاملة الى "عديمي الوثائق. *جريدة الخبر الجزائرية*(4546).
- محمد اسماعيل زكي. (1972). *الانثروبولوجيا والفكر الاسلامي*. السعودية: دار عكاظ.
- محمد ثلجي. (2009). *أزمة الهوية طرق جديدة للمعالجة*. قطر: مركز الجزيرة للدراسات.
- مصطفى أبو زيد الفهمي. (د.س.ن). *النظرية العامة للقومية العربية*. القاهرة: المكتبة الشرقية للنشر والتوزيع.
- منصور عفيفي. (2007). الحداثة والبديل الحضاري حوار بين المفكرين. *الحوار الفكري*(9).
- يمينة بواشرى بنت ميرة. (2008). *أهمية العامل الفكري في تشكيل الهوية واسترجاع حرية الجزائر انموذجا*. مصر: مؤسسة شباب الجامعة.